

الدراسات العربية في البلاد الإسلامية غير العربية ماضيها وحاضرها ومايرجى لها من مستقبل...

بقلم الدكتور السيد محمد يوسف
أستاذ اللغة العربية بجامعة كراتشي (باكستان)

الإسلامي غير العربي كان من حيث الأصل منحصرًا في كون اللغة العربية لغة المخاطبات اليومية في الأول وعدم كونها كذلك في الثاني مع الإبقاء على القاسم المشترك بينهما ، وهو قيام المجتمع على أساس الشريعة الإسلامية ، وهو بدوره يقتضى بصورة منطوية واتعية قيام نظام التعليم الموحد في جوهره حول الدراسات الإسلامية ولغتها الوحيدة (لا أقول «الأولى» أو «الأصلية» بل «الوحيدة») أعنى اللغة العربية ، لغة القرآن والحديث .

حجر الأساس للبيئة الإسلامية هو العمل بالشريعة الإسلامية :

لا توجد البيئة الإسلامية الا كنتيجة للعمل بالشريعة الإسلامية ، فإذا انتفى العمل بالشريعة الإسلامية لم يبق الا بعض القشور من العبادات والرسوم والمظاهر الخارجية وانتفت حاجة المسلم الى دراسة الشريعة الإسلامية وهذا هو السر في ضعف وانحطاط وجمود الدراسات الإسلامية في البلاد العربية وغير العربية وعدم الاهتمام باللغة العربية في البلاد الإسلامية غير العربية في العصر الحديث ، فما الداعي والباعث على الاهتمام بالدراسات الإسلامية والعربية مثلا ، اذا كان العمل بالقانون الوضعي الاجنبي في معظم البلدان الإسلامية مع الاسف ؟ او لا نرى ان مناهج القانون في معظم البلاد الإسلامية لا تحتوى الا على

الفرق بين المجتمع الإسلامي العربي والمجتمع الإسلامي غير العربي والقاسم المشترك بينهما

« الى جانب الامم المتعمرة ، اى التى اطرحت بالمرّة لغاتها الاصلية واتخذت من اللغة العربية لغة المخاطبة في جميع حاجاتها اليومية ، لحقت بركب الإسلام أم أخرى مستعمرة ، أعنى التى خصت اللغة العربية بمعنايتها الفاتحة كلغة القرآن والدين والثقافة والآداب والعلوم ، فكانت هى اللغة الوحيدة التى تدرس في مدارسها وكانت جميع مواد التدريس تحضر بها ، فاحتلت مكان الصدارة في مقومات الثقافة ، ومع انها لم تصبح لغة المخاطبة في الحاجات اليومية الا انها كسحت ميدان العلم والأدب كسحا بحيث لم تنبثق اللغات المحلية سوى زاوية البيت ومحلات الاسواق حتى اذا نشأت اللغات المحلية وترعرعت بفضل بعض العوامل الطبيعية على مر الزمن وزحفت الى البلاطات والدواوين الحكومية وتسلمت خائفة مذعورة معتذرة الى الأدب والشعر لم تأمل قط في الإستقلال الذاتى بل قنعت بالدوران في فلك العربية والاخذ والاستفادة منها بالاستمرار لأن العوام كانوا يبجلونها فوق كل لغة والخواص لم يكن لهم غنى عنها في كل ما يمت الى الدين والثقافة العامة العلمية والأدبية بصلة - (اللسان العربى ، يناير 1969)

فالفرق بين المجتمع الإسلامي العربي والمجتمع

كان لها تأثير قوى بعيد المدى في مكانة اللغة العربية وهي كما يلي :

(أ) استبدال القانون الوضعي بالشريعة الإسلامية
(ب) انخراط نظام التعليم الاجنبي (الانجليزي / الفرنسي) وتوطيده بالطرق الاستعمارية ، وتكسب خطورته (لولا) في العمليّة اي عدم كون الشريعة الإسلامية النواة للتعليم كله ، و (ثانيا) في خلج اللغة العربية عن عرشها واغتصاب السيادة للغة الاجنبية في التعليم وتفضيئة الفكر وتطوير اساليب الحياة وفي ادارة الحكم والاتصالات الدولية والشؤون الصناعية والتجارية .

(ج) بذر بذور الوطنية والقومية الضيقة لتمزيق اوصال العالم الاسلامي ومزاحمة الشعور بالاخوة الاسلامية ، ومن مظاهرها البارزة الاعتزاز باللغات الدارجة ضد العربية الفصحى في البلاد العربية واللغات المحلية ضد العربية (= لغة العرب) في البلاد الاسلامية غير العربية . كما ان من طرفاتها المنطقية الدعوة الى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي .

ومن الاغلوطنات الشائعة ان الاستعمار في البلاد الاسلامية غير العربية واد اللغات المحلية او نصب العداء لها بينما الحقيقة ان الاستعمار هو الذي نشر فكرة « لغة الام » وتولى رعاية اللغات المحلية بل تلتفها وشجعها لتزاحم اللغة العربية (والفارسية ايضا) كما انه هو الذي حاول تمجيد اللهجات الدارجة واحياء البربرية وما اليها للقضاء على العربية الفصحى في البلاد العربية وكاتت النتيجة ان الاردية مثلا تشجعت في عهد الانجليز حتى احتلت مكان العربية في الحياة الثقافية بينما هي لم تقو على ان تزحزح الانجليزية من مكانها لان ويصدق هذا القول على اللغات المحلية في البلدان الاسلامية الاعجمية الاخرى .

وبما انه ليس من السياسة العملية التخلي عن الدين تماما بالنسبة لعامة الشعب المسلم في أي بلد كان، عربي او غير عربي ، كان التحول الخطير السالف الذكر سببا للاهتمام بتراجم القرآن بدل الاهتمام بالقرآن العربي وهلم جرا الى ان فوجئنا بدعوة صريحة وقحة الى الاذان والصلوة باللغات المحلية !!

واخطر منها بكثير ما حدث منذ الاستقلال اعنسى الاستغناء عن العربية في تعليم الدين ووضع مادة

تدر ضئيل من الشريعة الاسلامية وهو الذي يخمس الاحوال الشخصية فقط ! اما دراسة الشريعة الاسلامية في المعاهد الخاصة بها فهي دراسة علمية نظرية بحتة ، ومثل تلك الدراسة لا تبرز البيئة الاسلامية الى الوجود في الخارج ، بل تشعر نفس الدارس بعدم وجودها في الواقع .

لقد كثر الكلام عن تطويع السينما والتلفزيون والراديو لاغراض خلق البيئة الاسلامية ، وهو بمثابة وضع العربة امام الحصان ليس الا - فباي حق او باي منطق يريد المسلم ان يخضع الآلات والوسائل لاغراض الاسلام قبل ان يخضع نفسه - فكره وعمله - للشريعة الاسلامية ؟

تتبين هذه الحقائق من وضع اللغة العربية في التعليم والثقافة الاسلامية في البلدان الاسلامية غير العربية عبر العصور الى القرن التاسع عشر الميلادي :

(أ) لقد حظيت اللغة العربية بالسيادة المطلقة في برامج التعليم تبعا لمكانة الشريعة الاسلامية في حياة الشعوب المسلمة من حيث العمل الذي يستلزم الرجوع الى الشريعة في كافة المعاملات وتصرفات الحل والمعد والحرب والسلام .

(ب) احتفظت اللغة العربية بسيادتها المطلقة دون ان تزاحمها اللغات المحلية ، فكان للغة العربية مكان الصدارة في برامج التعليم والتربية في البلاد الاسلامية غير العربية حتى بعد نشأة اللغات المحلية وآدابها ونقل بعض العلوم اليها لسهولة الكثرة الكاثرة من الجهال وانصاف المتعلمين ، لا لتمجيد اللغات المحلية واستغناء العلماء والمتقنين بها عن اللغة العربية ، فلم يكن للغات المحلية الا التبعية للغة العربية ، وكان الوضع يعتبر وضعا طبيعيا في صالح اللغات المحلية نفسها .

(ج) لم توجد ولم تفرض على المسلمين بالقوة لغة اجنبية ، اعنى الانجليزية والفرنسية وما يقوم مقامها في خلق الازدواجية في الفكر والسلوك في السياسة والحكم والموارد الاجتماعية .

الوضع الحاضر وما ينفذ به من الشر المستطير في المستقبل :

لقد جرت الامور هذا المجرى الطبيعي طوال القرون الى ان ابتلينا بالاحتلال الغربي فانتقلت الاوضاع راسا على عقب ، ولتكتف بالقول في اهم النقاط التي

جديدة باسم « الاسلاميات » و « المعارف الاسلامية » وزرعها كمادة غربية في برامج التعليم المصرية في المدارس والكليات التابعة للحكومة ، وهذه المادة عبارة عن تراجم باللغة المحلية او الانجليزية - ربما كانت ناقصة وغير معتمدة - لبعض سور القرآن والاحاديث النبوية ومقارنة بعض المذاهب الفكرية والاقتصادية المصرية بالاسلام (بدون دراسة الاسلام دراسة اصيلة كافية) مقارنة غير سليمة وغير نزيهة في بعض الاحوال بحيث يشمر النشء بالنقص في الدين وافتقاره الى ما يكمله او يطوره من الخارج .

ولنسرده الآن بعض الاحداث شبه السياسية التي تتراءى كعالم الصوى في طريق انحراف التعليم والثقافة عن الاصاله العربية في البلدان الاسلامية غير العربية .

اولا : تركيا - وكان لها تصب السبق في استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي ومنع الاذان باللغة العربية وقطع علاقة اللغة التركية باللغة العربية الى حد ابعاد الكلمات العربية والاطلال منها بقدر المستطاع في اللغة التركية والاعراض عن دراسة اللغة العربية بوجه خاص حتى كلفة اجنبية (لانها لن تكون اجنبية ابدا) - ومهما قيل عن تحسن الاوضاع وظهور اتجاهات جديدة في الآونة الاخيرة فان الحقيقة لا تزال تحز في النفس ان العربية بمعدة خارجة عن برامج التعليم القومية والثقافة العامة للشعب التركي المؤمن بالاسل .

ثانيا : ايران - غمرت ايران ايضا موجة « فارسي سره » (الفارسية المحضة) برهة من الزمن ، ولكن سرعان ما اصطدمت بصخرة الواقع الذي ابنى ان يخضع للاهواء المتطرفة فاتحسرت مياه « فارسي سره » والحق يقال ان العلماء والادباء في ايران ثابوا الى الرشيد واعتزموا باهمية العنصر العربي في توام اللغة الفارسية ، ولذلك نرى ان الوضع في ايران احسن بكثير مما هو في البلاد الاسلامية الاعجمية الاخرى بدليل ان دراسة العربية اجبارية بالنسبة لطلاب الآداب فيها الى اعلى الدرجات العلمية .

ثالثا : باكستان - الدولة الفتية التي تأسست على الاسلام والاخوة الاسلامية ، الا انها سرعان ما اصبحت بالمعتم من الناحية الثقافية واصبحت فريسة للقومية الوطنية المستترة المنتقبة بالاسلام ، وظهرت آثار هذا الداء العضال في التحمس للغة الاردية كلفة اسلامية ، وربما خيل لنا ان هذا التحمس كان بدائع

من النزعة الاسلامية وموجهاً ضد الانجليزية المنيخة بكلكتها على جميع ميادين النشاط العلمى والادارى ، لكن الحقيقة ان المتحمسين للغة الاردية كانوا موالين صادقين للغة الانجليزية حيث لم يفتروا يؤكدون عدم المساس بوضع الانجليزية كلفة ثانية محترمة اجبارية ، انما لانوا بالصمت الماكر وحذجوا تنافذهم في الظلام لينموا اللغة العربية من ان تنبوا المكائنة اللائقة بها كلفة اولى في برامج التعليم الحكومية ، لانهم شعروا في قرارة أنفسهم ان اللغة العربية لعداستها وغزارة مادتها وسهولة تصرفاتها واستجابتها الطويلة للحاجات العلمية هي المنافسة التي لن يسع الأردوية غير تبعيتها كلما وجدت وحيثما وجدت - أضف الى ذلك ان المتحمسين للأردوية كانوا من الذين تتقفوا ثقافة انجليزية وجهلوا العربية جهلا مزريا ، وقدنيا كان الناس اعداء ما جهلوا - فالغرض ان التحمس للأردوية كلفة اسلامية (ضد العربية) انما ينطوى على الكياسة البراقة الخالدة ، وانكشفت اللعبة وافتضحت النوايا حينما نادى المرحوم آغاخان الثالث بتعميم اللغة العربية وجعلها اللغة الاولى في باكستان ، ولم يلق آغاخان القول جزاما بل دعمه بحجج وبراهين وكأنه بثاقب نظره تنبأ بالكوارث التي حلت بباكستان فعلا في صورة عدم الاخذ برأيه - « قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه » - نعم (ثار المنتصرون للأردية ضد آغاخان وبقيت الانجليزية متترجة على انتصار الأردوية الاسلامية) حسب دعاوى القوم وغلواتهم على العربية - ثم ما لبثت ان باضت ومخرخت هذه الوطنية لمينيت الاردوية بمثل ما منى به العرب عقب ثورتهم ضد الاتراك فنشبت الصراع بين الأردوية من جهة وبين اللغات المحلية مثل البنغالية والسندية من جهة اخرى وسالت الدماء في الشوارع والطرق وانتهدت المعارك باقامة نصب تذكارية لشهداء البنغالية والاردوية هنا وهناك - « الشهداء » الذين قاتلوا وقتلوا مضللين مدفوعين بحمية الجاهلية والنصب التي لا يزال الفؤاة يزورونها على الطريقة الوثنية بتقديم الزهرا والرياحين في مناسبات - كل هذا والعلماء ورثة الانبياء ساكتون صامتون واذا سئلوا جيجوا ولم يصرحوا والاسلاميون السياسيون حذرون وجلون من معاكسة التيار الجارف وقتنذ - وهل يرجى بعد ذلك غير ان تبقى العربية مهله منسية مغفورة لا تجد لها ناصرا ولا شهيدا - ولا يخفى ان الوضع لم يتغير جوهريا بعد مؤتمر القمة الاسلامى بلاهور وادخال مادة في دستور باكستان

بشأن واجب الحكومة نحو تعميم اللغة العربية فان العربية لا تزال عرضة للاهمال في المدارس والكليات والجامعات الحكومية كما كانت من قبل .

رابعا : بنغلاديش - لقد معنا أننا الى حتى التعمص للبنغالية ، وقد كان هذا التعمص موجها في المرتبة الاولى الى الأردوية بعد ما اعتبرت رمزا لسيادة أهل الجناح الغربي من باكستان بما فيهم المسلمون المهاجرون من الهند ، الا ان العربية وقعت بين شقي الرحي فلم يسمع لها ذكر البتة - انها ذكرت العربية من خلال الدعوة الى استبدال الخط العربي بالخط الهندي السائد في كتابة البنغالية ومع الاسف الشديد لم تلق الدعوة قبولا ونجاحا وكان الخط العربي فقد الاحترام اللائق به لا لشيء الا لكونه الخط المستعمل لكتابة الأردوية - ولا يخفى ان قضية « البنغالية ضد الأردوية » كانت بداية لحركة سياسية انتهت بتدخل الهند وحليفها روسيا لفصل الجناح الشرقي من باكستان - والآن وقد تم استقلال بنغلاديش (من باكستان بدون شك) لم يبق في الميدان الا البنغالية والانجليزية ، لا ادري لايهما السيادة في التعليم والثقافة ، انما يعنيننا ان العربية لا تزال مطوية الذكر وكذلك الخط العربي فان البنغالية لا تزال تكتب بالخط الهندي .

خامسا : جنوب شرقي آسيا بما فيها اندونيسيا وماليزيا - طالما كانت هذه البلاد مجالا لنشاطات عربية قوية حتى كثر الناطقون بالضاد بها وتأثرت آداب اللغتين الاندونيسية والماليزية بالعربية وكتبت اللغتان بالخط العربي الى ان طلوع فجر عصر الجمهورية والديموقراطية التي استلزمت بشأن الاكثريّة المسلمة ان تتنازل عن مقومات ثقافتها استرضاء للاتلية غير المسلمة فكانت النتيجة ان سبقت اندونيسيا وتبعها ماليزيا لاستبدال الخط اللاتيني بالخط العربي والتخيم من شأن اللغة المحلية الى حد مزاحمتها للغة العربية في حقل التعليم والثقافة - والظاهرة الجديدة التي ملأت قلب حيرة ويسا أن هناك مدارس عربية قوية نالت الاعجاب والاعتراف من الجامع الأزهر تدرس بها جميع المواد الاسلامية باللغة العربية ، ولكن كلما شملتها الحكومة بالرعاية والاصلاح حسب خطة مرسومة لجعل التعليم الديني اكثر ملامة واستجابة لروح العصر ، كما يقولون ، ضمنت العربية من ناحيتين :

الاولى : توسعت العلوم العميرية على حساب المواد الاسلامية - والثانية ، وهي اخطر بكثير ، زاحمت اللغة المحلية اللغة العربية حتى في قطاع تدريس المواد الاسلامية ، ويتجلى هذا الوضع في الجامعات الحديثة حيث توجد اقسام بل كليات مستقلة للمعارف الاسلامية الا ان الاتجاه السائد فيها هو التزيد المستمر من استخدام اللغة المحلية وحصار العربية في المتون القليلة فقط .

والعقبة الكاداء في سبيل احلال العربية محلها في التعليم والثقافة الاسلامية هي الطبقة المثقفة ثقافة اجنبية عمرية اعدھا المستمر لتخلفه في الحكم والادارة - انتهزت هذه الطبقة الفرصة التي سنحت بعد استقلال البلاد الاسلامية غير العربية فاستغلت سلطتها ونفوذها لاعتلاء المنابر والتكلم عن الاسلام كلاما ملفقا من هنا وهناك ، ولم تستنكف هذه الفئة المتكبرة عن الاجترار على الاسلام مع عدم الملمها بحرف واحد من العربية ، فكم تجدون محاميا درس كل قانون من رومي وانجليزي وفرنسي وسويسري غير اللغة العربية والقرآن والسنة ، ثم هو يتشدد في الاجتماعات المحلية والمحافل الدولية بالفقه والقانون الاسلامي ، كذلك ترون مؤرخا درس تاريخ العالم غير التاريخ الاسلامي الذي يفيض فيه من المصادر الثانوية بحيث لا يحسن النطق بأسماء الاعلام العربية - فأبثال هؤلاء من الطبقة المثقفة ثقافة اجنبية في البلاد الاسلامية غير العربية هم الذين يرجعون الى الترجمة الانجليزية للقرآن ويتسالمون عن التراجم الانجليزية للحديث ويتسقطون على مدونات القاتون الاسلامي باللغات الاجنبية ويستقون معلوماتهم عن الاسلام من منابع الكتب الانجليزية والفرنسية وما اليها ومعظمها من نتاج الفكر الغربي الاستشراقي الذي ثبت عداؤه للاسلام من دون شك .

وهذه الطبقة هي التي تدعى الاستغناء عن العربية وتزدري وتستهزئ بالذين درسوا الاسلام من مصادره العربية الاصيلة وتسمى جاهدة للفصل بين العربية ومناهج دراسة الاسلام ، اذا كان لا بد منها ، في الكليات والجامعات - وفي هذا كله تجريح صارخ لحرمة الدين واعتداء على الاتدار العلمية ، وقد بلغ الحال ، ولا سيما في باكستان والهند الى ان الذين يجهلون العربية تماما لا يرون بأسا من الاتدام على ترجمة القرآن وتفسيره ، بحيث اصبح لزاما على رجال العلم ان يعملوا ما في وسعهم لحماية الكتاب « من عبث المترجمين وخطا الشراح وعدوان المتبسين » .

والخطابة والكلام العادى فى مناسبات يومية فكل ذلك بعيد المنال بالنسبة للطالب الذى لم يثر همته الادب كادب تـ ط .

وقد دعت جماعة من العلماء فى القرن الماضى الى اصلاح هذا الجانب من مناهج المدارس القديمة ، ومثل هذا الاصلاح كان الغرض الاصلى من انشاء داراً لعلوم ندوة العلماء بلكنو (الهند) فتحققت النتائج المطلوبة فى مجال الانشاء والصحافة والخطابة الا ان البحث الادبى العلمى لا يزال بحاجة الى المزيد من العناية ، يصدق هذا على بعض المدارس التى اهتمت بالاصلاح المائل فى باكستان مثل المدرسة الاسلامية العربية بنيوتاون - كراتشى - حيث يبذل مديرها ، الشيخ محمد يوسف البنورى ، مساعى خاصة فى هذا السبيل .

ومن الجدير بالملاحظة ان التكلم بالعربية ميسور لكثير من متعلمى اللغة العربية فى جنوب شرقى آسيا ، وربما كان مرجع ذلك الى وجود الجاليات العربية بين ظهرانيتهم ومواصلة العلاقات المتينة المستديمة بينهم وبين الازهر ولكن يندر فيهم من يضطلع بالادب على عكس ما نعرفه عن بعض اهل الهند وباكستان الذين نبغوا فى خدمة الآداب العربية مع ضعف المستوى العام لاستخدام اللغة العربية فى المناسبات اليومية .

والثانى هو المنهج السائد فى الكليات والجامعات الحديثة على الطراز الغربى ، ويختص هذا المنهج بدراسة الآداب لذاتها من غير ان تكون قرينة للدراسات الدينية الاسلامية ، فان الاخيرة منتقية منبوذة لم يسمح لها بالدخول فى الجامعات الحديثة الا فى الآونة الاخيرة ، ولما اقتحمتها قبيل الاستقلال أو بعبده كان التيار القومى على أشده مما جعل الدراسات الاسلامية فى كنف اللغات القومية المحلية تحت وصاية الانجليزية فى بعض الاحيان بندلا من العربية التى جهلها المتسلطون على ادارة التعليم كما مر - فالغرض ان الآداب العربية تدرس لذاتها فى الكليات والجامعات الحديثة ضمن برامج تدريس اللغات وآدابها مستقلة عن العلوم الدينية المدونة فيها - والواقع ان اللغات الكلاسيكية ، وعلى رأسها العربية ، كانت تتمتع بمكانة مرموقة فى برامج التعليم الحديثة أيام الانجليزية اسوة باليونانية واللاتينية فى أوروبا وانجلترا ، وحتى الفارسية لم يكن لها وضع مستقل عن العربية - أما اللغات المحلية فى البلاد الاسلامية غير العربية فانها كانت تعتبر فروعا ناعمة

والطبقة المثقفة ثقافة اجنبية هى التى تبعث الشبان غير الناضجين من المسلمين الى جامعات أوروبا وأمريكا لتلقى علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ الاسلامى من اليهود والمسيحيين المبشرين السافريين والمستشارين لوزارات الخارجية وقلم المخابرات التابعة لحكوماتهم فى كثير من الاحيان ، وحتى فيما يتعلق بالادب العربى فان الطلبة فى البلاد الاسلامية غير العربية يجبرون فى الجامعات الاوربية والامريكية على تعلم الالمانية والفرنسية لنيل الشهادات العالية فى الآداب العربية بينما تبقى العربية نسيا منسيا ، ولا غرو أن تكون اضعف عند رجوع الطالب الى وطنه مما كانت عليه من قبل .

ويتضاعف الجدل ويتفاقم الشر اذا جلس تلاميذ المستشرقين هؤلاء للتدريس فصاروا ابواقا للآراء المنحرفة مع ضعفهم الزمنى فى العربية والصادر الاسلامية الاصلية - وقد كان الدكتور محمد اقبال نصح الشبان المسلمين من زمان بأن لا يفتنوا بالتلمذ على المستشرقين فى المواد المتعلقة بالاسلام ، بل يرجعوا الى الشيوخ العلماء المسنين من المسلمين المخلصين لله والدين فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية والاسلامية .

فى جميع البلدان الاسلامية غير العربية تقريبا يوجد منهجان متميزان لدراسة اللغة العربية : احدهما المنهج السائد فى المدارس القديمة ، ويلاحظ ان اللغة العربية تدرس فى هذه المدارس مقرونة دائما بالعلوم الاسلامية من التفسير والحديث والفقه ، وربما نتج من هذا التلازم ان لم تكن آداب اللغة العربية مقصودة لذاتها ، بل اصبحت اللغة العربية مجرد اداة لتحصيل العلوم الاسلامية ، ولذلك المقررات من الادب لا تعدوا بعض الكتب التى لم تترجح عن مكانها عبر القسرون والاجيال امثال « مقامات الحريري » و « حماسة ابي تمام » و « السبع المعلمات » والاهتمام كله منصب على تلقين قواعد النحو والصرف بأمثلة فى قوالب متحجرة جامدة تدور بين زيد وعمرو مع عدم التوسع فى المطالعة وقلة التمرين - وتأتى النتيجة على حسب المنهج فان الطالب يحق تمييز الازواج الصرفية والنحوية للكلمات ويحفظ مجموعة من مفردات اللغة - تلك المفردات التى تعينه فى فهم النصوص القرآنية والحديثية ، أما ما عدا ذلك من معرفة اساليب العرب المتنوعة ونشأة الذوق الادبى وملكة نقد الشعر والنثر والمهارة فى الانشاء

المقترحات

وعلى ضوء ما قلناه آتينا عن الوضع التاريخي والواقع الملموس حاليا نخلص الى المقترحات الآتية :

المقترح (1)

من حيث ان اللغة العربية تحتل المكانة الاولى من بين المقومات الاساسية للدين والثقافة الاسلامية يجب على الحكومات في البلاد الاسلامية غير العربية ان تتبادر الى اتخاذ ما يلزم لجعل اللغة العربية للسان الاولى بالنسبة للمسلمين عملا بقول الامام الشافعي : ينبغي لكل احد يتقدم على تعلم اللغة العربية ان يتعلمها لانها للسان الاولى (رواه السلفى باسناده) — و « اللسان الاولى » لا تعنى اللغة الرسمية في الادارة ولا لغة المخاطبات اليومية ، انما تعنى ان تكون العربية هي المنفوتة على اللغة المحلية (القومية) واللغة الاجنبية (الانجليزية) وما اليها في التعليم والثقافة العامة بحيث لا يعتبر مثقفا ثقافة أصيلة متكاملة من لم يتعلم اللغة العربية باتقان .

المقترح (2)

ويتبع هذا الوضع ان تلتزم وتحفظ جميع اللغات المحلية بالخط العربي وتتراجع الحكومات والقيادات المتوددة الى الغرب القهقري الى الخط العربي بعد ما تبين لها خطأ استبدال الخط اللاتيني به وفداحة الخسارة الدينية والثقافية المترتبة على ذلك — كذلك يجب الاسراع الى نيل الخط غير العربي بشأن بعض اللغات مثل البنغالية وعدم التكلل في اتخاذ الخط العربي لها بعد ما زالت الاعتبارات السياسية التي سببت التثبوت والاعتزاز بالخط غير العربي في الماضي القريب .

وهاتان الخطوتان ، اعنى (1) جعل الاولوية للعربية في التعليم و (2) توحيد الخط العربي بالنسبة لجميع اللغات المحلية في البلاد الاسلامية غير العربية سيكون لها لمعاليتهما وتأثيرهما في توجيه نشأة اللغات المحلية وجهة العربية وصبغها الصبغة الاسلامية ، فان الوضع الذي سينجم عن اتخاذ الخطوتين هو ان يكون كل متعلم مثقف ، كاتب او شاعر ، ذا لسنتين — اللسان العربي واللغة المحلية — والتألقهما في ثقافة موحدة سينبج مرة اخرى تلك العميون التي

ناحية للعربية والفارسية ، وذلك هو الوضع الطبيعي التاريخي الذي تفره الروح العلمية المحضة ايضا ، ولكن حدث بعد الاستقلال ان تيار القومية الهوجاء جرف بالمكانة المرموقة للغة العربية حتى تركها كالمعلقة ، لا هي اجبارية (وقد كانت دراسة احدي اللغات الكلاسيكية — العربية والفارسية والسنسكريتية — اجبارية الى حد الشهادة الجامعية — B.A. أيام الانجليز) ولا أحد يختارها باختياره وفي الوقت نفسه تقززت اللغات المحلية (« القومية » كما تلقب في الغرب تخفيا وتهجيدا) الى القمة حتى اصبحت اجبارية وادعت الاستغناء عن العربية خاصة بينما رضيت بالتعايش مع الانجليزية كلفة اجبارية اخرى — وانتهى الامر بما لم يكن في الحسبان ، اعنى الاستغناء عن العربية في مجالات لا غنى عن العربية فيها ، الا وهي العلوم الدينية والتاريخ الاسلامي والفلسفة الاسلامية .

على كل حال بقيت اتسام اللغة العربية في الكليات والجامعات الحديثة منذ الاستقلال تتلمس الطرق لتأدية وظيفتها ، وكان الجو العلمي في الكليات والجامعات الحديثة مساعدا لتغيير مقررات الدراسة حسب التوسع في احياء ونشر التراث العربي القديم وادخال المواد الجديدة مثل تاريخ الآداب ومقاييس النقد الادبي والادب الانطلسي والادب الحديث — كل هذا بخلاف الجمود والقصر على كتب بعينها في المدارس القديمة — وكانت النتيجة ان المتخرجين من الجامعات توسعوا في دراسة الآداب بأصنافها المختلفة مع ربطها بالتغيرات الاجتماعية والتيارات الادبية في اطار التاريخ العام وحصلوا على قدر من الذوق الادبي مع الاخذ ببناهج البحث والتحقيق المصرية ، الا انهم بقوا على العموم ضعافا في استخدام اللغة في الكتابة والمكالمة ، وربما لم يتقنوا تطبيق قواعد الصرف والنحو في القراءة — وقد لوحظ ان معظم البحوث والاطروحات المقدمة الى الجامعات لنيل الشهادات العليا في الآداب العربية كانت مكتوبة باللغة الانجليزية على العادة المتبعة في الجامعات الغربية ، لم يتغير هذا الوضع الا في الآونة الاخيرة حيث قدمت البحوث والاطروحات الى بعض الجامعات الهندية والباكستانية باللغة العربية ، على سبيل المثال كتاب « الترك في مؤلفات الجاحظ » الذي صدر من دار الثقافة ببيروت وهو يمثل اطروحة قبلت لمنح الدكتوراه من القسم العربي بجامعة كراتشي .

والثانوية اللتان يلتقن فيهما الطالب تعاليم الدين المبسطة باللغة التي نشأ على تداولها وفهمها بينما يجري اعداده لدراسة وفهم النصوص العربية في مرحلة التعليم العالي .

والمواد الاسلامية هي بالتفصيل : القرآن والحديث والتفسير ومصطلح الحديث والفقه والاصول — هذه هي المواد الدينية الاصلية التي لا ينبغي ولا يتأسي تدريسها الا عن النصوص العربية فقط .

وهناك بعض المواد في المرتبة الثانية ينبغي لطلابها كذلك أن يكون على استعداد للرجوع الى المصادر العربية الاصلية وأن لم يدرس المادة عن النصوص العربية تماما ، مثل التاريخ الاسلامي والفلسفة الاسلامية اذا درسها الطالب (من غير تخصص فيهما) كجزء من تاريخ العالم والفلسفة العامة .

فاذا تبوات العربية المكان اللائق بها وحظيت بالاحترام والتقدير بالنسبة الى اللغات المحلية والانجليزية وما اليها — تلك اللغات التي لم تزل منذ عهد الاستعمار ولا تزال حتى بعد الاستقلال السياسي تنازعها وتناوئها وتزحزحها عن مكانها في برامج التعليم القومية — نعم ! اذ ذاك يجب اتخاذ التدابير لسد النقص في الاوضاع الحالية :

فاولا : فئة المتخرجين من المدارس الاهلية الدينية العربية وهم الذين امنوا اوعاما طويلا في دراسة اللغة العربية بالطريقة القديمة المعروفة بـ « طريقة القواعد والترجمة » وهي الطريقة التي كانت متبعة في تدريس اللغات الاجنبية — ولا سيما الكلاسيكية القديمة — في اوروبا ايضا الى وقت قريب ، يتقن الطالب بموجب هذه الطريقة الصرف والنحو ويحصل له المقدرة على فهم النصوص ، انما ينقص هذه الفئة :

(ا) التمكن من استخدام اللغة في الكتابة والانشاء وفي الخطابة ، ولا سيما المكالمات اليومية .

(ب) التوسع في الاطلاع على الآداب القديمة .
(ج) الآداب الحديثة مهمة عندهم تماما ، وربما لا يقفون على شيء منها .

(د) تاريخ الآداب والاطار العام من الاحوال السياسية والاجتماعية التي اثرت في نشأة الآداب ووجهتها ووجهتها الخاصة .

(هـ) النقد الادبي — اصوله ومناهجه .
وبما أن السبب الرئيسي في وجود هذا النقص —

طالما نبعت من العربية ورقدت اللغات المحلية بالكلمات والتراكيب والمصطلحات الفنية وتوالي التعبير والكتايبات والتلميحيات والاستعمارات والانكار والاحاسيس ومياتى الشعر والنثر ، انما نضبت تلك العيون منذ أن تحول المثقفون من العربية الى الانجليزية أو ما اشبهها من اللغات الأوروبية .

لو تصفحنا قليلا الفارسية والتركية والاردوية لوجدناها تتسم بلامح بارزة للاستمرار ، منها (1) عدد كبير — بنسبة ستين في % وأكثر في بعض الاحوال — من المفردات — الاسماء والصفات والاعمال ومشتقاتها — المنقولة من العربية الى اللغات المحلية . (2) كذلك الالفاظ الدينية والمصطلحات العلمية والتعبيرات العلمية الدقيقة والادبية اللطيفة المنقولة بالحرف أو المأخوذة بالمعنى عن العربية .

(3) ثم النسخ على منوال الآداب العربية في انشاء الآداب المحلية ، خذ مثلا الشعر بأوزانه وبحوره وأقسامه من القصيدة والغزل — انما تسنى مثل هذا الاتصال بين اللغات المحلية والعربية لان الكتاب باللغات المحلية كانوا تعلموا اللغة العربية بالدرجة الاولى فانتبسوا منها ما يلحقون به اللغات المحلية ويطورونها لخدمة الاغراض الدينية والثقافية الاسلامية ويصدق هذا قليلا أو كثيرا على جميع اللغات المحلية المتداولة بين المسلمين في مختلف البقاع ، لا فرق من حيث جوهر القضية ، انما الفرق في المقدار فقط .

انما أكدت هاتين الخطوتين لكونهما لا بد منهما لاسترداد المكانة اللانعة باللغة العربية في برامج التعليم القومية في البلاد الاسلامية غير العربية وهما تمهيدان السبيل للمقترح الثالث ، وهو :

المقترح (3)

الاستنكار الشديد للاتجاه السائد في البلدان الاسلامية غير العربية الى الاستغناء عن العربية وتدريس المواد الدينية الاسلامية باللغات المحلية أو الاجنبية مثل الانجليزية — يستوجب هذا الاتجاه الاستنكار الشديد لكونه مخالفا للغرض الديني ومناقضا للاقتدار العلمية البحتة — اذن يتحتم على جميع الجهات المعنية بالامر أن تتبادر الى تصحيح الاوضاع حتى يعم تدريس المواد الاسلامية كلها بالنصوص العربية لا غير ، يستثنى من هذا الاصل المرحلتان الابتدائية

ثانيا : فئة المتخرجين من الاقسام العربية نسي الجامعات الحديثة - ماذا ينقصهم ؟ هم أيضا يعانون من انعدام البيئة العربية مثل ما يعاني منه الفئة السالفة الذكر - انما يزيد في نقصهم انهم من حيث المجموع ضعاف في الصرف والنحو من الناحيتين العلمية والعملية بينما هم يتفوقون على غيرهم بالتوسع والتنوع في دراسة الأدب القديم ودراسة الأدب الحديث كمادة مستقلة والامام مبادئ النقد الادبي .

المقترح (5)

فالاولى بهم أيضا أن يلتحقوا بالمعاهد الخاصة المقترح انشاؤها في البلدان العربية - انما ينبغي أن تنظم لهم صفوف خاصة بهم في بعض المواد مع تغييرات في المقررات والمناهج حسب ظروفهم واستعدادهم .

هذا ومن واجب الحكومات والادارات المحلية تهيئة الفرص للاستاذة في المدارس العربية القديمة والكليات والجامعات الحديثة لان يستفيدوا من الالتحاق بالمعاهد المذكورة ، فانهم بعد ان يتدربوا تدريبا عمليا راقيا ويرجعوا الى مناصبهم في اوطانهم سيكونون اداة لاجراء الاصلاحات المنشودة في برامج تعليم اللغة العربية - مناهجها ومقرراتها - وربما ينتج من تدرب الاستاذة على خطة موحدة توحيد برامج الدراسة نسي المعاهد القديمة والكليات والجامعات الحديثة ولو في نطاق محدود ، اعنى نطاق اللغة العربية وآدابها ، ولا يخلو مثل هذا التقارب من مغزى خطير بالنظر الى فشل جميع الجهود التي بذلت منذ امد بعيد لردم الهوة السحيقة بينهما وانتقاذ الامم الاسلامية من ازدواجية التعليم والفكر والعمل .

لا بد من وضع سلم للاولوية فيما بين الخطوات العديدة لرفع مستوى اللغة العربية وتعميمها في البلاد الاسلامية غير العربية - فمن المهم أن نضع في الدرجة الاولى من سلم الاولوية رفع مكانة اللغة العربية نسي برامج التعليم القومية وتدريب الاستاذة من الفئتين المذكورتين فيما فوق واصلاح مناهج التعليم بيد هؤلاء المدرسين حتى يتم سد النقص الحالي وتكوين نواة صالحة قوية للعربية داخل الاطر القومية .

ماذا تم ذلك - وليس قبل ذلك - اتجهنا في المرتبة الثانية الى تعليم الكبار من المتعلمين وانصاف المتعلمين

ما عدا طريقة التعليم القديمة - هو انعدام البيئة التي تحرك الطبع وتضطر الطالب الى تطبيق واستعمال مواهبه ومكتسباته اللسانية في الاحوال الواقعية ، ويلاحظ ان ايشع ما يترتب على انعدام البيئة الملائمة من الآثار هو النطق المحلى المحرف للكلمات العربية مع مخالفة جميع آداب الكلام الصحيح من الضغط وارتفاع الصوت وانخفاضه في المحل المناسب - وربما تكثر هذه الظاهرة في الهند والباكستان فان النطق في جنوب شرق آسيا اقرب الى الصحة والى اللهجة العربية - ومن الغريب ان مرجع ذلك ربما كان وجود الكلمات العربية بكثرة . كاثرة لكن بصورة محرفة في المعنى ومشوهة في النطق داخل اليرودية مما يسبب الخطأ في التعبير وصوغ العبارة أيضا في احيان كثيرة بينما اعتنى مسلمو جنوب شرق آسيا بالقراءة والتجويد عناية خاصة شاملة للمدن والقرى ومعتمدة على العرب الخالص نجاعت لهجتهم اقرب الى اللهجة الصحيحة .

المقترح (4)

على كل حال بما ان المهم هو ايجاد بيئة عربية نالأولى اقامة معاهد في البلدان العربية نفسها وتنظيم دراسات خاصة بها بالنسبة لهؤلاء المتخرجين من المدارس الدينية العربية في البلدان الاسلامية غير العربية ، تكون مدة الدراسة في تلك المعاهد الخاصة من سنة الى سنتين ، وتتكون مواد الدراسة كالآتي :

(ا) تمرينات في النطق وقراءة النصوص ودروس في علم التجويد .

(ب) تمرينات في الخطابة والكتابة والانشاء .

(ج) دراسات عامة توسعية في الآداب القديمة .

(د) دراسات في الادب الحديث .

(هـ) تاريخ الآداب العربية .

(و) النقد الادبي .

يرجى أن يكون هؤلاء المدرسون في بيئة عربية خالصة داخل بلد عربي خير عون في رفع مستوى اللغة العربية وتعميمها بعد رجوعهم الى اوطانهم ومن المؤكد انه لا حاجة بهم الا الى النصحي فلا يورطوا ولا يضيع وقتهم في تحصيل اللهجات الدارجة بصورة تعمدية .

ان هؤلاء المرشحين حائزون على شهادات عالية كل في دائرة اختصاصه وهم متعلمون مثقفون نضجت عقولهم واستكملت مواهبهم ، منها موهبة تعلم اللغة الاجنبية مثل الانجليزية والفرنسية وتذوق الآداب العالية .

اذ لا يناسبهم الطريقة المعروفة بالطريقة المباشرة (Direct Method) وهي الطريقة التي يباشرها الطفل حينما يتعلم اللغة من أمه ، يأخذ الكلمات والجمل ويحاكي امه في النطق بها في ظروف معينة تبعته على التجاوب معها ، والطفل لا يابه للتواعد ولا يقلقه التغييرات التي تطرأ على كلمة واحدة في احوال مختلفة بل يخزنها ويستعيدتها في ظروف متشابهة اذا دعت الحاجة اليها بدون ان يهتدى بأصول مدونة لها .

ولكن الحال يختلف تماما مع الذين تجاوزوا سن الطفولة فاعتادوا الاهتداء بالاصول المدونة في تعلم العلوم المختلفة واللغات الاجنبية وقد جربت انا بنفسى ان كبار السن من المتعلمين امثال طلاب الجامعة كلما لاحظوا الاعراب بالرفع تارة وبالنصب والجر تارة اخرى لا يلبثون ان يسألوا عن الاصل الضابط لتلك الظاهرة .

فالطريقة التي تلائم كبار السن من المتقنين هي الطريقة « الواعية لضوابط اللغة » (cognitive code learning)

وتلك الضوابط تساعد المتعلم الواعي نها على التقدم من الحكاكة المجردة الى الخلق والابداع في التعبير اذا اصطدم بظروف لم يسبق له تجربتها من قبل — فالضوابط هي كالاتلبد للتغيرات والاستحالات و اللغة (Transformational grammar) ومن الطبيعي ان يحرص على اقتنائه كل من بلغ رشده ونضج عقله .

ولكن الامر ليس بصعب ولا داهى للتوحش من القواعد اذا احسن عرضها وانهاهما عن طريق الاكثار من الامثلة وتمكين الطالب من الملاحظة والاختبار والتأكد بنفسه ، فان مظاهر اللغة كمظاهر الطبيعة في الكون ، وهل علم الطبيعة والعلوم الاخرى المتعلقة بالنبات والحيوان الا الاهتداء الى سنن الله او النواميس الفطرية الجارية في الكون — وحقا قيل ان قواعد اللغة العربية على الاخص تشكل « علما » بكل معنى الكلمة فان قواعد مطردة. اطراد نواميس الكون يمكن الاعتماد عليها في معظم الاحوال بخلاف كثير من اللغات المصرية التي لا تسير على قاعدة شاملة .

الذين تفرغوا او اعتزلوا الدراسة المنتظمة ولم يتسوق لهم تعلم العربية اثناءها ، وهم ينقسمون الى قسمين : قسم يرغب في تعلم العربية لاغراض التوظف والتكسب والاطامة في البلاد العربية ، والقسم الآخر يريد الاستزادة من الثقافة الدينية والادبية فحسب .

اما الذين يرغبون في العربية لدعم مؤهلاتهم للتوظف والتكسب مهم في الغالب فنيون متخصصون في حقول شتى مثل الطب والهندسة واعمال البنك ، وقد كثر ولا يزال يكثر عدد المهاجرين منهم الى البلدان العربية منذ ازدياد دخلها من البترول وانتعاش حركة التعمير والبناء فيها .

والفكرة تستحق التقدير والتشجيع من الجانبين — جانب العربي المستخدم (بصيغة الفاعل) وجانب المسلم المعجى المستخدم (بصيغة المفعول) — فان الالمام بلغة البلد الذي يعمل فيه لا بد وان يزيد في كفاءة العامل ، ومن وراء ذلك بجنى من العربية فوائد اخرى عميقة الاثر في ربط اجزاء العالم الاسلامى بعضها ببعض، فان الاستعراب والاسلام بقيا متلازمين في القرون الاولى من تاريخنا ، وليس الوضع الحالى الا وليد الاستعمار الذى لا تزال نتمسك بخلفاته ورواسبه في الفكر والثقافة عن طواعية منا ، فمن المخجل ان يتفاهم مسلم مع مسلم آخر من طريق لغة اجنبية منهما مثل الانجليزية حتى في المؤتمرات التي تعقد باسم الاخوة الاسلامية وللتنويه والاشادة بأصالة المسلمين في مختلف المجالات — وقد اتفق لى ان التقيت بمسلمين اعاجم سفّلوا مناصب كبيرة لاموام طويلة في البلدان العربية وامتازوا بالكفاءة والامانة في تادية خدماتهم الا أنهم بقوا كاجانب في المحيط العربي لعدم المامهم باللغة العربية ، فهذه خسارة عظيمة ان تقتصر العلاقة بين مسلمين اثنين على الخدمة والاجرة فقط بدون ان تستغل فرصة التقائهما لتعميم الوسيلة المتلى اعنى العربية لتبادل الانكار وتقوية اواصر الصداقة حتى ترتفع الكلفة بينهما بصفة اخوية ثابتة .

المقترح (6)

فالفرض انه يجدر بنا ان نقيم داخل البلاد الاسلامية غير العربية معاهد خاصة لتعليم اللغة العربية لهؤلاء المرشحين للوظائف والاعمال في البلدان العربية — ويلاحظ في هذا الصدد :

للراديو والتلفزيون بالجهد المشترك بين الخبراء العرب
وذوى الاختصاص المحليين ، وهنا مجال ظاهر لتقديم
العون الفني من العرب .

المقترح (8)

ليس يبدع من الحكومات العربية ايفاد اساتذة
اكفاء لتدريس اللغة العربية (أ) في المدارس القديمة
و (ب) الجامعات الحديثة في البلدان الاسلامية غير
العربية وقد مضت بعض الدول العربية على هذا السنن
فانادتنا التجربة تعديل الخطة المتبعة في هذا الشأن
ورسمها كالتالى :

يجب مراعاة الثقافات والصلاحيات والانواق في
ايفاد الاساتذة العرب بحيث (أ) يوفد خريجو المعاهد
القديمة كالازهر وما يماثلها في البلدان العربية الاخرى
للتدريس في المعاهد القديمة في البلدان الاسلامية غير
العربية .

(ب) كذلك يوفد اساتذة الجامعات الحديثة من
حملة شهادات الماجستير والدكتوراه للتدريس في
الجامعات الحديثة في البلدان الاسلامية غير العربية ،
فقد لوحظ ان العلماء المتقنين ثقافة قديمة على طراز
الازهر لا يتلامون والبيئة السائدة في الجامعات الحديثة
فيمجزون من تحقيق الغرض من بعثهم ، ولا يعد هذا
تنقيصا لهم ، انها هي مسألة توافق الانواق واتحاد
طابع الثقافات كما يحدث بين ابناء وطن واحد .

(ج) ويرامى ايضا ان يكون الابتعاث من المستوى
الابتدائى او الثانوى الى مستوى مماثل والا كان سببا
في خلق مشاكل نفسية ربما ضاع فيها الغرض الاصلى
المقصود - انها هذا تقرير للواقع الطبيعي الى حد بعيد
ولا غضاضة فيه لأحد .

المقترح (9)

ومن المفيد جدا انشاء مدارس عربية نموذجية
- رياض الاطفال والابتدائية والثانوية - على غرار
المدارس الانجليزية القائمة الان بكثرة في البلاد الاسلامية
غير العربية ، ينشأ فيها الطلبة منذ الصغر على العربية
كلغة أولى مفضلة في الكلام والخطابة والكتابة والدرس .
تتولى الحكومات العربية انشاء هذه المدارس على
مستوى راق في البلاد الاسلامية غير العربية بالاشتراك
مع المؤسسات التعليمية المحلية بنسبة 70 ٪ حصة

نعم ! ان قواعد اللغة ليست مقصودة لذاتها
ولكنها وسيلة لا بد منها لاتقان اللغة بصورة عملية -
انما يجب ان يمكن الطالب من وعي القواعد اثناء
ملاحظته لامثلة كثيرة يستعرضها مرارا وتكرارا والتنبه
لها اثناء دراسته للنصوص التى يتذوقها راسا .

وبما ان هؤلاء المرشحين للوظيفة والعمل في البلاد
العربية موظفون غير متفرغين للدراسة في بلادهم ، انما
يدرسون اللغة العربية خارج اوقات عملهم وبدون
الاخلال بنشاطهم الاجتماعى في الوسط الراقى ، لذلك
يجب ان لا تقل مدة الدراسة بالنسبة اليهم عن سنة
يشغلون خلالها بجد وبصورة دائبة مستمرة حتى تاتى
بالغاية المرجوة ، وهى الوعي لبنية اللغة العربية
والقواعد المبسطة لتصريفها واعرابها والتدرة على فهم
النصوص السهلة والتعبير عما في النفس في مناسبات
الحياة اليومية .

لقد شاع في هذه الايام الاهتمام بالادوات السمعية
البصرية المساعدة ، ولا ينكر افادتها اذا استخدمت
بروح علمية بحثة ولم يتظاهر بها كما يتظاهر بزخرفة
الحضارة الغربية الجديدة ، فان الادوات السمعية
البصرية ليست الا « مساعدة » ولا تحط من اهمية وجود
المدرس ودوره الاصلى المركزى في عملية التدريس ،
فربما يكون من المضحك ان يوكل الطالب الى النطق
العربى المخزون في الاسطوانة او الشريط بينما يقدم
المدرس نماذج من اللحن والنطق الامجى الفاسد .

والرجاء من الحكومات والادارات المحلية في البلاد
الاسلامية غير العربية ان يشجعوا المرشحين للتوظيف
في البلاد العربية على تعلم اللغة العربية باعطاء الفرمي
الكافية لهم .

المقترح (7)

بقى الكلام عن ائصاف الذين يرغبون في تعلم اللغة
العربية لاغراض دينية وثقافية فقط - يمكن ان تنظم
لهم دراسات خاصة بتعديل يسير في المقررات والمناهج
بالنظر الى المستوى التتاقى للطلاب داخل المعاهد التسى
ستقام للفئة السالفة الذكر من المرشحين للوظائف تسى
البلدان العربية - والاجدر بالنسبة اليهم ان يستعان
بالراديو والتلفزيون لاتقاء دروس عامة مبسطة داخل
بيوتهم مع انه لا بد من الارشاد الشخصى والتبريس
والاختبار على فقرات في كل حال - وسيتم اعداد الدروس

العربية لم تقدم الى الآن « عربون » الجد في تعميم اللغة العربية غير الكلام في الهواء والحبر على الورق ! وجدت في الآونة الاخيرة ظاهرة أخرى في البلدان الاسلامية غير العربية ، وهي التحمس للعربية الحديثة (Modern Arabic) على حساب العربية القديمة الكلاسيكية ، والسبب في ذلك ان الدراسة اقتصرت للآن ، كما مرّ ، على العربية الكلاسيكية في تلك البلاد ، ووجد المتعلمون « بطريقة القواعد والترجمة » عاجزين عن القراءة والكتابة في المواضيع الحديثة ، فظن المتحمسون للعربية من الذين لم يعرفوا العربية ان هناك بونا وانقطاعا بين العربية القديمة والعربية الجديدة وأن القديمة للدين والجديدة للدنيا ، وتلك اغلوطة روجها اعداء الاسلام لإغراض في انفسهم وقد انكشفت نواياهم في المؤتمر الذي دعت اليه مؤسسة نورد الامريكية في لبنان سنة 1973 م حيث أصر الداعون ومعهم المدعوون المأجورون أن الاعتبارات العلمية ومناهج التربية الحديثة تقتضى فصل العربية عن الدين وطرد الكلمات الدينية من مجموعة الكلمات المتداولة التي يستعان بها في تعليم اللغة في المدارس ، فهذه فنتة اثيرت في العالم العربي وتفاقت الى حد ان اتفقت مضجع شيخ الأزهر ، الدكتور عبد الحلیم محمود ، الذي هب لمقاومتها وتحذير المسلمين منها — فهل يستغرب بعد ذلك ان يقع في اللغ بعض المثقفين ثقافة غربية والمسيطرين على ادارة التعليم في البلدان الاسلامية غير العربية .

المقترح (10)

لذلك وجب التصريح والتأكيد ان العربية الحديثة — أي لغة الكتابة العصرية في الانتاج الادبي الحديث والجرائد والمكاتب الرسمية — ان هي الا فرع ثبت وازدهر من جذع العربية القديمة الكلاسيكية المرتبطة بالقرآن والحديث ، وانها لا بد وان تنزّل وتضمحل وتتلشى في غمار الجهل واللحن والتحريف والتشويه الناشئ من التيارات الدخيلة اذا لم يحتفظ بصلتها بالعربية الكلاسيكية وبالقرآن والحديث .

اذن يجب على الجهات المعنية بالامر ان تعتبر العربية القديمة والجديدة كجسد واحد لا يمكن قطعه نصلين ، وحقا قال المستشرق هيورت (Heyworth) في كتابه عن العربية الحديثة (Modern Arabic) انه لم يعرف احدا حصل العربية الحديثة بدون أن

الجانب العربي و 30 ٪ حصة الجانب المحلى من نفقات الانشاء والمصاريف الجارية وتوكل ادارة كل مدرسة ومعهد الى مجلس مكون من اعضاء يمثلون الجانبين بعدد متساو .

ولا بد من التمسك بهذا المبدأ اعنى مبدأ الاشتراك بين الدول العربية والحكومات والجماعات المحلية في ما يتعلق بالخطوات التي تتخذ داخل البلاد الاسلامية غير العربية حتى لا تتخلى الجهات المحلية تماما من الشعور بالواجب نحو اللغة العربية ، وهذه الجهات هي التي تتحمل كل المسؤولية وتعنى عناية خاصة بتعليم اللغة الانجليزية اجباريا في جميع مراحل التعليم وتخصص تسطا وافر من ميزانية التعليم للعلوم والتكنولوجيا — افتترك العربية كالتبعية اما ان يكفلها العرب او يتقى عرضة للجفوة في المجتمعات الاسلامية لانها هي الاخيرة غير عربية ؟

واذكر بهذه المناسبة ان محمد على علوبة باشا كان قد اقترح على الحكومة المصرية حينما كان سفيرا لمصر في باكستان ان تنشئ مدارس مصرية هناك لتعليم العربية ، واستقال سماعته بعد ذلك من منصبه ولكنه ظل يردد الدعوة الى انشاء تلك المدارس في خطبه بالحفلات التي كانت تقيمها سفارة باكستان بالقاهرة حتى قال مرة « ان الحكومة المصرية تركت يد باكستان ممدودة في الهواء ولم تحقق طلبها الخاص بانشاء مدارس مصرية في تلك الدولة التي يبلغ تعدادها ضعف عدد شعوب الجامعة العربية .

فجاء تعليق الاستاذ عباس خضر على هذا القول في عدد الرسالة الصادرة في 28 / 8 / 1950 م كما يلي :

« وان استناد الحكومة الباكستانية او سفارتها بالقاهرة الى تلك الدعوة يدل على انها غير جادة في هذا السبيل ، لان الطريق العملى هو ان تنشأ حكومة باكستان تلك المدارس في بلادها وتستدعى للتدريس فيها مدرسين من مختلف البلاد العربية ، لا ان تمد يدها في الهواء ... »

حقا لقد كان محمد على علوبة باشا مخلصا في اقتراحه كما كان الاستاذ عباس خضر جادا في اشارته الى واجب الحكومات المحلية في هذا الصدد ، وهو بلا شك ، واجب لا يجدر بنا التخلي عنه باى حال من الاحوال — والحقيقة ان حكومات البلاد الاسلامية غير

فالدين هو الذي يجب اللغة العربية الى سواد المسلمين
في المرتبة الاولى ، والعوامل الاقتصادية والسياسية
التي زادت في اهمية اللغة العربية في المحيط الدولي
مؤخرا لم يكن ولن يكون لها أن تحل محل العنصر
الديني في حياة المسلمين ابدا .

اذن لا بد أن تراعى الجهات المختصة هذه الامور
في تخطيط برامجها لتعميم اللغة العربية في البلاد
الاسلامية غير العربية .

يحصل العربية القديمة ، ولذلك أمتد من الكتابة في
تاريخ الادب الحديث بدون أن يصدره ويزنطه بتاريخ
الادب العربي القديم .

ومن التضييل المتعمد القول بالاستغناء عن عناصر
الدين والكلمات الدينية في تعليم اللغة بعد ما أصبح
الدين ومصطلحاته جزءا ساري المفعول كل لحظة في
حياة الطفل والفتى المسلم .

وبالنسبة للبلدان الاسلامية غير العربية خاصة

